ضم الملك عبدالعزيز الأحساء في ضوء الوثائق البريطانية والعثمانية والمصادر المحلية

د. ناصر بن محمد الجهيمي
نائب الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز

تشير التقارير البريطانية إلى متابعة دقيقة لتحركات الملك عبدالعزيز، ولا سيما في المناطق القريبة من الخليج العربي منذ فترة مبكرة بعد استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.

وحين استطاعت الحكومة البريطانية فرض حمايتها على موانئ الخليج العربي وعلى مياهه كانت تنظر إلى الدولة العثمانية على أنها قاب قوسين أو أدنى من نهاية سيطرتها على ما تبقى لها من هيمنتها على بعض موانئ الخليج العربي، مثل قطر والعقير والجبيل ورأس تنورة والقطيف وما حولها(١).

---

(١) تشير التقارير البريطانية إلى دراسة مسحية دقيقة قام بها مجموعة من الخبراء البريطانيين للموانئ السعودية لطبيعتها وسكانها والطرق الملاحية المؤدية لها، وكذلك الجزر القريبة منها وذلك قبل دخول الملك عبدالعزيز الأحساء بشهرين، تقرير إدوارد هيدلم lieut.Edward J.Headlam قبطان الباخرة بالينور Palinurus إلى بيرسي كوكس في ٨ مارس ١٩١٢م تحت رقم L/Pas/18/B198.

ولأن الدولة العثمانية كانت تعاني انهيارات متتاليةً نتيجة حروب البلقان وما منيت به من هزائم، فإن بريطانيا - بما لها من قوة ناشئة ومن معتمدين أقوياء في الخليج العربي - كانت ترى أنها الوريث الوحيد لهذا النفوذ العثماني؛ لأنه لم يعد وجود لقوة سياسية وعسكرية سواها في هذه المنطقة. لذلك سعت بريطانيا إلى إعادة ترتيب سياستها وتنظيمها إزاء هذه المحميات، وكثفت من مراقبة الأحداث وتحركات القبائل والنشاط التجاري ومسائل البحرية في مياه الخليج العربي.

دفع الظهور القوي والسريع للملك عبدالعزيز - بعد استرداد الرياض - بريطانيا إلى مراقبة تحركاته بقلق بالغ، ولا سيما في المناطق القريبة لمياه الخليج العربي.

وقد حفلت التقارير البريطانية بمعلومات وافرة عن تلك الأحداث منذ فترة مبكرة، فرصدت تحركات الملك عبدالعزيز بعد دخوله الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م شعورًا منها بأن نفوذه قد يمتد إلى مناطق الخليج العربي، باعتباره امتدادًا لإرث أسري سابق في حكم المنطقة، وخاصة عندما بدأ الملك عبدالعزيز يتصل بقبائل المنطقة ويدعوها إلى المشاركة معه في غزواته(٢).

---

(٢) من هذه التقارير المبكرة رسالة تشارلز كمبل المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى حكومة الهند البريطانية في لندن بتاريخ ١٩٠٢/٢/١٩م ورقم F.O./2/LPS/20، أي بعد دخول الملك عبدالعزيز الرياض بستة أشهر، يشير فيها كمبل إلى إمكانية استعادة عبدالعزيز آل سعود لحكم أسرته وتأسيس مملكة أجداده.

ففي التقرير الصادر عن المقيمية السياسية البريطانية في بوشهر من إعداد بيرسي كوكس ترد رسالة من وليم شكسبير الوكيل البريطاني في الكويت بتاريخ ١٠ يناير ١٩١٠م (٢٩ ذو الحجة ١٣٢٧هـ) أن الملك عبدالعزيز دعا محمد بن حثلين للانضمام إلى إحدى الغزوات، ويعلق شكسبير على ذلك بقوله: "وكأنه - أي الملك عبدالعزيز - يعتبر الهفوف والقطيف والأحساء من ممتلكاته"(٣).

ورغم الرصد البريطاني الدقيق لتحركات الملك عبدالعزيز تجاه القبائل قرب الأحساء وحديثه مع المندوبين البريطانيين بأن الأحساء جزء من ممتلكاته التي يطالب بها، إلا أن الحكومة البريطانية كانت تدرك أن أمر استرداد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود للأحساء من الصعوبة بمكان، وذلك لأسباب كثيرة منها ما اعتقدته بريطانيا من أن الملك عبدالعزيز يحسب للوجود البريطاني حسابًا، وكذلك وجود الحامية العثمانية المهيأة عسكريًا للدفاع عن الأحساء بالمدافع والجنود النظامية، إضافة إلى قبائل المنطقة، التي - حسب التقارير البريطانية - لن تسمح بعودة الأحساء إلى الحكم السعودي(٤).

---

(٣) التقرير الإداري الصادر عن المقيمية السياسية البريطانية في بوشهر عن عام ١٩٠٩م، رقم R/15/1/710 .

(٤) في رسالة من بيرسي كوكس إلى هنري مكماهون سكرتير حكومة الهند يشير فيه إلى أن العثمانيين ما زالوا يحتفظون بالأحساء والقطيف بفضل النفوذ البريطاني الرادع لعبدالعزيز آل سعود، بتاريخ ١٩١١/٧/٢٣م، رقم R/15/5/27.

كذلك تدرك بريطانيا أن الشيوخ والأمراء في البحرين وقطر والكويت وأبو ظبي ودبي لن يدعموا هذا الطموح للملك عبدالعزيز[٥].

وكان ما بذله الملك عبدالعزيز من اتصال مباشر وغير مباشر مع المعتمدين البريطانيين في الخليج العربي منذ زمن مبكر في محاولة لإقناعهم بالحصول على الدعم - كافيًا لتدرك بريطانيا أن الملك عبدالعزيز لن يتحرك باتجاه الأحساء إلا بعد اتصال مباشر معها[٦].

حفلت التقارير البريطانية بذكر اتصالات كثيرة من الملك عبدالعزيز، منها على سبيل المثال تقرير وليم شكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت إلى بيرسي كوكس المقيم السياسي في بوشهر المؤرخ في ٨ إبريل ١٩١١م (٩ ربيع الأول ١٣٢٩هـ) يشير فيه إلى جملة المحادثات الشخصية الطويلة

(٥) تأكد ذلك من ردود الفعل المعارضة لدخول الملك عبدالعزيز الأحساء من الشيوخ والأمراء في إمارات الخليج العربي التي أوردتها بالتفصيل التقارير البريطانية والعثمانية.

(٦) كان آخرها حديث الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مع شكسبير في فبراير ١٩١٣م (ربيع الأول ١٣٣١هـ) - أي: قبل دخول الملك عبدالعزيز الأحساء بشهرين - أثناء زيارته لمخيم الملك عبدالعزيز في الربيع (لم يتم تحديد المكان في التقرير)، حيث أبدى الملك عبدالعزيز لشكسبير أسفه من عدم دعم بريطانيا له ضد العثمانيين في إخراجهم من الأحساء، وأكد له شكسبير خلال هذا اللقاء أن السياسة الثابتة لبريطانيا عدم التدخل لمساعدته ضد العثمانيين في الأحساء. رسالة من شكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت إلى بيرسي كوكس المقيم السياسي في بوشهر بتاريخ ١٩١٣/٥/١٥م، رقم R/15/5/27 .

التي أجراها شكسبير مع الملك عبدالعزيز، وإلى شخصية الملك عبدالعزيز، فيصفه بأنه صريح وجواد.

وقد تطرق الملك عبدالعزيز في حديثه مع شكسبير إلى موضوع العلاقات بين الحكومة البريطانية والحكومة التركية العثمانية، وطرح أسئلة عن مدى استعداد بريطانيا لدعمه ضد الأتراك العثمانيين، فأوضح شكسبير أن موقف الحكومة البريطانية الثابت عدم دعمه ضد العثمانيين في الأحساء[٧].

وقد أشارت تقارير بريطانية كثيرة، منها على سبيل المثال تقرير من بيرسي كوكس في جمادى الآخرة ١٣٢٩هـ/ إبريل ١٩١١م، إلى أن ما قيل عن عزم الملك عبدالعزيز على مهاجمة الأحساء أو القطيف لا أساس له من الصحة[٨].

وما يظهر من تحليل لهذه التقارير أن الملك عبدالعزيز تعامل بذكاء مع المعتمدين البريطانيين، فلم يشعرهم بأنه يسعى إلى استرداد الأحساء، بل أوجد لديهم شعورًا قويًا بأنه

---

(٧) أوضح الملك عبدالعزيز لشكسبير أن منطقة الأحساء في حال خضعت لحكمه فإن الأمن سينتشر وأن التجارة ستزدهر، لإشعار بريطانيا بأن انعدام الأمن في المنطقة لا يمكن معالجته إلا بعودة الحكم السعودي. تقرير وليم شكسبير رقم L/Pas/7/248 بتاريخ ١٩١١/٤/٨م.

(٨) يشير تقرير بيرسي كوكس تعليقًا على معلومات وردت عن أن الملك عبدالعزيز تزوج من أخت ضيدان بن حثلين شيخ العجمان، وأن العجمان تحالفوا مع الملك عبدالعزيز، وأن ذلك التحالف لا علاقة له بوجود عزم لدى الملك عبدالعزيز بمهاجمة الأحساء. تقرير رقم L/Pas/7/249 في أبريل ١٩١١م.

لن يتمكن من الوصول إلى مطالبه في استعادة الأحساء والقطيف إلا بدعمهم ومساندتهم، كما رحب بفكرة وجود وكيل سياسي بريطاني(٩).

هذا الاطمئنان - الذي كان يبثه الملك عبدالعزيز في نفوس المسؤولين البريطانيين ويُشعِر وزارة الهند البريطانية في لندن - قد لفت نظر أحد المسئولين البريطانيين (لي وارنر) الذي حذر وزارة الخارجية البريطانية ونصحها بعدم التساهل في هذا الأمر، وبيّن أن عبدالعزيز آل سعود حينما يتحدث عن الترحيب بوكيل سياسي بريطاني فإن ذلك تحت تأثير المشاعر العدائية ضد العثمانيين، ويرى أنه لو اختفى الضغط العثماني لاكتسح ابن سعود المنطقة وبسط حكمه حتى البحر(١٠).

ومن المؤكد أن الحكومة البريطانية قد أعدت ترتيبًا للسيطرة على منطقة الأحساء والعقير والقطيف والجبيل، وكما يذكر فلبي في كتابه (اليوبيل العربي) أن بريطانيا كانت ستحتل المنطقة التي سيطر عليها الملك عبدالعزيز بعد ثمانية عشر شهرًا من تاريخ دخوله الأحساء(١١).

وقد كلفت الحكومة البريطانية أحد رجال استخباراتها - وهو ليتشمان الذي كان يتجول مع قبائل شمر وعنزة تحت

---

(٩) تقرير وليم شكسبير في ٨/٤/١٩١١م، رقم٤/ PAS/7/248.

(١٠) رسالة من ريتشي وكيل وزارة الهند البريطانية في لندن إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٧/٦/١٩١١م رقم L/Pas/7/248 .

(11) H.STJ.Philpy-Arapan jupilee-P.31.

اسم مجيد بن عقال - بمقابلة الملك عبدالعزيز، وقد وصل إلى القصيم في شهر ديسمبر ١٩١٢م (نهاية ١٣٣٠هـ)، ثم إلى الرياض حيث قابل الملك عبدالعزيز قبل فترة قصيرة من استرداده الأحساء، وكتب تقريره الذي أشار فيه إلى أنه وجد الملك عبدالعزيز مشغولاً ببناء حصن، مما أوحى له باستبعاد أن يفكر الملك عبدالعزيز في الأحساء وهو مشغول ببناء حصن، ولم يجد ما يوحي باهتمامه تجاه الأحساء.

كما أشار إلى أن الملك عبدالعزيز أرسله إلى الهفوف في دلالة على اعتراف الملك عبدالعزيز بالمتصرف العثماني في الأحساء، وهذا ما ورد في تقرير بريطاني كتبه المقيم السياسي البريطاني في بوشهر(١٢).

ويذكر أمين الريحاني تفاصيل ذلك اللقاء بقوله: "سأله ابن سعود ما هو القصد من سياحتك؟، فأجاب قائلاً: إني جغرافي وأريد أن تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة يبرين إلى عمان". فقال الملك عبدالعزيز: "إن قدومك إلينا على هذا الوجه خطأ، فلا علم لنا به وليس معك توصية من الحكومة البريطانية".

ويضيف أمين الريحاني: ".. لم يتأكد عبدالعزيز حقيقة ما ادعاه الرجل، بل ظن أنه يتجسس للأتراك، وبما أنه اعتزم

(١٢) رسالة من أرنولد ولسون إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩١٢م المشار فيه إلى نتائج محادثات ليتشمان مع المقيم السياسي البريطاني في الخليج (بوشهر) بتاريخ ١٩١٢/١٢/٣١م، رقم R/15/5/25.

الهجوم على الحساء، وكان قد خامر الترك بعض الريب في أمره، رأى أن يستخدم هذا الجغرافي لإزالة ذلك الريب فيطمئن البال من هذا الخصم، ويسير مطمئنًا إلى غرضه". لذلك قال الملك له: "لا يستطيع أن يجيب طلبك غير الترك في الحساء، فأرى أن تذهب إلى المتصرف هناك، وأنا أكتب إليه بخصوصك".

ومما قاله الملك في كتابه: "أن هذا الرجل مجهول لدينا، وهو واصل إليكم فلكم في ما يبغي الرأي الموفق إن شاء الله"[١٣].

ورغم تتابع التقارير الاستخبارية البريطانية عن تحركات الملك عبدالعزيز - وكان آخرها حين خيم الملك عبدالعزيز في الخفس قبل دخول الأحساء بأيام قليلة - إلا أنها تشير إلى تحركات الملك عبدالعزيز ضد القبائل، وتشير إلى أن حملته من الخفس موجهة لغزو عتيبة بعد استراحة في الخفس[١٤].

ويشير هذا التقرير أيضًا إلى أن الملك عبدالعزيز واعد العجمان لغزو عتيبة، وما ورد في التقرير يتوافق مع ما ذكره بادي بن دبيان[١٥] الذي كان موجودًا مع الملك عبدالعزيز في الخفس، حيث ذكر غزو الملك عبدالعزيز على أبو ليلة من آل

---

(١٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد، ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٤) تقرير سياسي من بيرسي كوكس في شهر إبريل ١٩١٣م، رقم L/POS/10/827. وانظر:

رواية دبيان عن هذه الحملة في: منديل الفهيد في كتابه: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ج١، ص٤٤-٤٥.

(١٥) رواية نقلها عنه منديل بن محمد الفهيد، آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ج١، ص٤٣.

مرة جنوب الأحساء، ثم توجه الملك عبدالعزيز إلى الخفس حيث أسرَّ إلى أحد رجاله - ابن جمعة من زعماء العجمان - بأنه يريد مهاجمة عتيبة في السر، وضرب للعجمان موعدًا في العويند، وتحرك ابن جمعة إلى ابن منيخر شيخ آل سفران، واجتمع العجمان وتحركوا للعوينـد في انتظار الملك عبدالعزيز الذي توجه إلى الأحساء ودخلها في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ ٨ مايو ١٩١٣م(١٦).

كما احتجز الوكيل البريطاني في الشارقة أسلحة كانت مرسلة للملك عبدالعزيز في تلك الفترة، ولم تشر التقارير البريطانية إلى أي رد فعل للملك عبدالعزيز من الإجراء الذي اتخذه الوكيل البريطاني في الشارقة تجاه الأسلحة التي تم التحفظ عليها، وكان هدف الملك عبدالعزيز من ذلك تهدئة الأوضاع وعدم إثارة أي شكوك حول عزمه على استرداد الأحساء.

إن دخول الملك عبدالعزيز المفاجئ للأحساء قد قلب التوقعات البريطانية والعثمانية وغيرها رأسًا على عقب، وتواردت ردود الفعل سريعًا، ووردت تلك الردود في تقارير بريطانية كثيرة، منها تقرير (آرثر تريفور) الوكيل السياسي البريطاني في البحرين.

---

(١٦) تعددت الروايات حول المكان الذي واعد الملك عبدالعزيز العجمان فيه، فيرى سعود بن هذلول والريحاني وخالد الفرج والزركلي ومحمد آل عبدالقادر وعبدالله الدامر أن الملك عبدالعزيز واعد العجمان شمالاً لغزو مطير. في حين يرى أحد المعاصرين وهو محمد بن مفرج بن ضيدان أبوثنين في كتاب (كنت مع عبدالعزيز) أن الملك عبدالعزيز واعد العجمان في المطلاع حول الجهراء لغزو الظفير.

فقبائل المنطقة مثل العجمان والمناصير والمرة وغيرها تحركت سريعًا للبحث عن دعم عثماني أو دعم آخر لمهاجمة الأحساء، وتحركت من قطر والبحرين الحاميات العثمانية إلى الأحساء، والشيخ مبارك كتب إلى المتصرف العثماني في البصرة يقسم بالله بأنه لم يقدم أي مساعدة أو دعم للملك عبدالعزيز، ويتعهد بمساعدة العثمانيين على طرد الملك عبدالعزيز من الأحساء(١٧).

أما بريطانيا فإنها تعاملت مع الموقف بسرعة، فدعمت الحاميات العثمانية التي عادت إلى البحرين وشجعتها على العودة مرة أخرى إلى القطيف، مما دفع الملك عبدالعزيز إلى الكتابة إلى السير بيرسي كوكس الذي رفع بدوره إلى حكومة الهند البريطانية، ومما جاء في رسالة كوكس قوله: ".. يحتج عبدالعزيز في رسائله على الدعم الذي يقدمه الممثلون البريطانيون للقوات العثمانية التي تعمل من البحرين، مبينًا أنه يريد المحافظة على روابط الصداقة مع الحكومة البريطانية، ومتعهدًا بحماية الرعايا البريطانيين، وهو يطلب إبلاغه تحديدًا إذا ما كانت الأوضاع قد تغيرت ولم تعد الحكومة البريطانية ترغب في المحافظة على علاقات صداقة رسمية معه حتى يمكنه الاهتمام بمصالحه الخاصة.."(١٨).

---

(١٧) التقرير الدوري الصادر عن آرثر تريفور الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في شهر يونيو ١٩١٣م، رقم R/15/2/58 .

(١٨) برقية من السير بيرسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى حكومة الهند البريطانية بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩١٣م، رقم L/Pas/10/384.

وكما سبق ذكره، كان استرداد الملك عبدالعزيز الأحساء - في ظل الظروف الصعبة بالنسبة له - أمرًا غير متوقع لدى بريطانيا، ومن ثم سارعت إلى بحث موضوع الاتفاقية. يعبر عن ذلك بيرسي كوكس بقوله: ".. إن توقيت عبدالعزيز لدخول الأحساء قد لا يكون مناسبًا للحكومة البريطانية ولكنه التوقيت الأمثل بالنسبة له..."(١٩).

ويبدو أن تأييد بريطانيا لهذه الاتفاقية بعد حسم الأمور لصالح الملك عبدالعزيز لم يكن مناسبًا، ففي برقية من نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند في لندن يشير فيها بصراحة إلى أن التوقيع على المادة العاشرة من مسودة الاتفاقية في ظل طرد الأتراك العثمانيين من نجد والأحساء متناقضان إلى حد ما لأنها لم تعد تحت السلطة العثمانية.

ويقترح بيرسي كوكس في هذا التقرير أن تعمل الحكومة البريطانية على إقناع الأتراك العثمانيين بالاعتراف بعبدالعزيز آل سعود حاكمًا مستقلاً استقلالاً ذاتيًا في نجد تحت السيادة التركية العثمانية، ثم يتم التوقيع على الاتفاقية باعتبار أن الأحساء ما زالت تحت الحكم العثماني(٢٠).

مسودة هذه الاتفاقية - التي لا شك في أنها ولدت ميتة - مثَّل فيها (إبراهيم حقي باشا) عن السلطان العثماني و(إدوارد جراي) وزير الخارجية البريطانية عن ملك بريطانيا، ومعظمها

(١٩) رسالة بيرسي كوكس إلى سكرتير حكومة الهند البريطانية بتاريخ ١٩١٣/٥/٢٦م، رقم R/15/5/27.

(٢٠) برقية من نائب الملك في الهند إلى وكيل وزارة الهند في لندن مؤرخة في ٣١ مايو ١٩١٣م، رقم L/Pas/10/384.

باللغة الفرنسية، جاءت في نحو (٥٠) صفحة، أدخلت الأحساء والقطيف والجبيل ورأس تنورة والعقير ضمن أملاك الدولة العثمانية باسم (سنجق نجد) في بند يسمى الخط الأزرق[٢١].

وفي عرض المملكة العربية السعودية الذي طبع عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م - عندما احتج المندوب البريطاني بهذه الاتفاقية على مسألة البريمي - قدمت عرضًا لهذه الاتفاقية ونقدًا لها، ومما جاء في هذا العرض: "... في عام ١٣٢٩هـ (مارس ١٩١١م) وبناء على طلب الحكومة العثمانية، بدأت مباحثات بين تركيا والمملكة المتحدة بقصد تسوية المشاكل المختلفة التي كانت قائمة بينهما إذ ذاك، وقد كانت تركيا - بسبب متاعبها مع إيطاليا في شمال إفريقيا ولأسباب أخرى - راغبة في الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا، وفي سبيل الحصول على ذلك كانت مستعدة لأن تتنازل لمصلحة بريطانيا عن امتيازات محسوسة، وخصوصًا في مناطق مثل الخليج العربي، حيث يمكن التضحية بادعاءات تركيا القائمة على الورق دون خسارة واقعية تذكر، ولم يعرف الاتجاه المعقد لهذه المفاوضات إلا منذ عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) عندما نشرت الحكومة البريطانية القسم الثاني من المجلد العاشر من السلسلة الرسمية للوثائق البريطانية بشأن أسباب الحرب ١٨٩٨-١٩١٤م بإشراف المؤرخين الكبيرين الأستاذ (جوتش) والأستاذ (تمبرلي). والوثائق التي طبعت في هذا المجلد تقدم سجلاً يكاد يكون كاملاً للمفاوضات من وجهة النظر البريطانية.

(٢١) تقرير عن الاتفاقية الإنجليزية - التركية بتاريخ ١٩١٣/٧/٢٩م رقم L/Pas/10/B381.

إن مسودة اتفاقية الخليج العربي - التي عرفت فيما بعد باسم الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٣م - تعالج في القسم الأول وضع الكويت وحدودها، وكانت الكويت بارزة آنذاك بوصفها محطة نهائية محتملة لسكة حديد بغداد فيما عرف بالخط الأخضر، وفي القسم الثاني قطر وحدود نجد فيما عرف بالخط الأزرق، وفي القسم الثالث البحرين، وفي القسم الرابع اعتراف تركيا بالإجراءات البريطانية في الخليج العربي لمساعدة أعمال الملاحة والبوليس البحري والحجر الصحي، وينص القسم الخامس (الأخير) على أن ترسم لجنة تخطيط على الأرض الحدود المختلفة المحددة في نص الاتفاقية، وفي تصريح سري مرفق وافقت تركيا على سحب موظفيها وقواتها من الكويت[٢٢].

وبينما كان الممثلون البريطانيون والترك في لندن في عامي ١٩١٣ و١٩١٤م (١٣٣١ و ١٣٣٣هـ) يتصرفون بحدود جزيرة العرب غيابيًا على هذا النحو، أخذتهم الأحداث التي جرت هناك على حين غرة، ففي فصل الربيع من سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، تحرك الملك عبدالعزيز ليطرد الحامية التركية من الحسا ويعيد ضم المنطقة إلى موضعها ضمن الأراضي السعودية، وفي أوائل شهر مايو (أواخر جمادى الأولى) سقطت الهفوف بعد هجوم ليلي مفاجئ، وتلتها القطيف بعد بضعة أيام، وفي غضون الشهر خرج الترك من الحسا بعد أن سمح لهم بأن يذهبوا بحرية وسلام، فلما وقعت الاتفاقية

(٢٢) عرض حكومة المملكة العربية السعودية - المجلد الأول الأساس ١١ ذو الحجة ١٣٧٤هـ الموافق ٣١ يوليو ١٩٥٥م، ص٣٦٣-٣٧٨.

الإنجليزية التركية في ٢٩ يوليو (٢٥ شعبان) لم يكن قد بقي للترك فيما سمي (سنجق نجد العثماني) أي سلطة، وقد كتب السير بيرسي كوكس الذي كان آنذاك المعتمد السياسي البريطاني في الخليج العربي عن هذا الانقلاب المفاجئ:

"كان يمكن أن يكون ذلك تطورًا طريفًا متوقعًا في أي وقت حتى اللحظة التي بدأنا فيها هذه الاتفاقية الودية مع الترك، معترفين على وجه التحديد وبصورة عرضية بأن الحسا جزء من ممتلكات تركيا. وحدوث هذه الآن أمر غير مناسب أبدًا... فنحن الآن في موقف عسير إزاءه (أي عبدالعزيز)".

وحين اتخذت بريطانيا هذه الاتفاقية حجة خلال محادثات مسألة البريمي، ورد في عرض المملكة العربية السعودية: "... زعمت المملكة المتحدة في سنين تالية أن الملك عبدالعزيز عقد اتفاقًا مع السلطات التركية في عام ١٣٣٢هـ (١٥ مايو ١٩١٤م)، أي بعد سنة من ضم الحسا، حمل بمقتضاه لقب والي نجد، وارتضى الإشراف التركي على علاقاته الخارجية. ويبدو أن المملكة المتحدة استنتجت من ذلك في سنوات متأخرة أن الملك عبدالعزيز قد قبل بموجب عمله هذا الاتفاقيات الإنكليزية التركية السابقة لذلك التاريخ وصار خاضعًا لها. أما أنه قد جرت مكاتبات ومباحثات بهذا الشأن، فيبدو أن هذا قد وقع بالفعل[٢٣]، غير أنه لم يمكن

---

(٢٣) من هذه المكاتبات خطاب الملك عبدالعزيز لوالي البصرة بعد دخوله الأحساء مباشرة، وقد كتب إليه فيه "... أن والده أوكل إلى الدولة العثمانية إدارة إقليم الأحساء خلال الأعوام الثلاثة والأربعين الماضية من أجل تطوير المدينة ورفع مستوى سكانها وتثبيت الأمن التجاري =

العثور في المحفوظات السعودية على نص أي اتفاق سعودي تركي منجز[٢٤]. وسواء كان هناك فعلاً اتفاق من هذا النوع أم لا، فذلك على أي حال أمر قليل الأهمية إذا روعي سياق الحوادث في تلك المدة، فقد كان الوقت وقت منافسات سياسية حادة. ففي السنوات العشر السابقة كانت هناك سلسلة دائمة من المناورات المعقدة التي كان الترك يحاولون عن طريقها إنقاذ مركزهم المتداعي بمناصرة زعيم ضد آخر. فبينما كان الترك في عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) يتحدثون مع الملك عبدالعزيز في الحسا كانوا يبعثون بالأسلحة والمال إلى آل رشيد ليستخدموها ضده. وأصدق عبارة عن هذه الإجراءات البيان المجمل الوارد في كتاب وزارة الخارجية البريطانية نفسها بعنوان "دليل الصلح عن تركيا الآسيوية" وقد نشر في عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م): أدى مسعى أخير قام به الترك للاحتفاظ ببقية من نفوذ عن طريق إقناع ابن سعود بالاعتراف بسيادتهم الاسمية على الأراضي التي كان قد

= فيها، غير أن العثمانيين لم يقوموا بعمل شيء وتدهورت أحوال الأحساء من سيئ إلى أسوأ، كما تجاهلت السلطات العثمانية شكاوى المواطنين، ولذلك اضطر هو لاستعادة منطقة الأحساء منهم. بيد أنه أكد أنه ما زال تابعًا مخلصًا ووفيًا للسلطان العثماني، وذكر في الوقت ذاته أنه إذا ما حاولت الدولة العثمانية استعادة الأحساء فإنه سيقاوم أي محاولة من هذا القبيل...". رسالة موقعة من كرو القنصل البريطاني في البصرة إلى جيرارد لاوثر السفير البريطاني في القسطنطينية مؤرخة في ٣١ مايو ١٩١٣م، رقم L/Pas/10/384.

(٢٤) من خلال البحث في الأرشيف العثماني يوجد مراسلات تتعلق بالتفاوض حول عقد اتفاقية بين الملك عبدالعزيز والدولة العثمانية، لكن من المؤكد أنه لم يتم التوقيع على أي اتفاق.

كسبها فعلاً، أدى إلى مفاوضات استمرت من سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) إلى سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م)...".

ولم تكن المملكة المتحدة نفسها زاهدة في الاشتراك في هذه المباراة السياسية. فلم يمض وقت طويل على سقوط الأحساء في يد الملك عبدالعزيز، حتى زاره في العقير الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، وتلا ذلك رسائل من السير بيرسي كوكس. وقبل نهاية السنة زار الرياض الكابتن شكسبير الوكيل السياسي في الكويت. ويبدو أن الملك عبدالعزيز لم يبلغ في هذه المحادثات بشيء عن المفاوضات الإنجليزية التركية في لندن التي كانت الحكومة البريطانية تتعامل فيها مع غيره بشأن الأراضي التي كانت في حوزته. غير أن علاقات البريطانيين معه استمرت طوال عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) دون أن تتعرض لعقبات ظاهرة بسبب نصوص الاتفاق السعودي التركي المزعوم المؤرخ في ١٥ مايو، وتبودلت بين الطرفين عبارات الصداقة والتقدير. ويلاحظ أن هذه السياسة لم تلق موافقة إجماعية حتى في داخل الحكومة البريطانية نفسها. ففي عام ١٣٣٢هـ (٣١ مارس ١٩١٤م) صدر التعليق التالي عليها في مضبطة يلوح أنها كتبت بقلم المستر ألوين باركر الموظف المسؤول الأول عن المفاوضات التركية في وزارة الخارجية البريطانية: ".. كنت أشعر دائمًا بأن السياسة التي نتبعها تجاه ابن سعود مفعمة بمخاطر شديدة على سلامة تركيا، وكنت شخصيًا أعارض دائمًا معارضة شديدة في المقابلات التي جرت بينه وبين موظفينا..".

غير أن الاتصالات البريطانية السعودية استمرت على الرغم من هذه الآراء النظرية، حيث لم يكن أمام المملكة المتحدة من الناحية العملية سبيل آخر للاختيار.

وكان دخول الملك عبدالعزيز للأحساء يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/ ٨ مايو ١٩١٣م مفاجأة، ودون ترتيب أو علم مسبق لدى الحكومة البريطانية، أو العثمانية، أو القبائل المحيطة بالمنطقة.

وتأتي تفاصيل هذا الدخول في المصادر والوثائق العثمانية والبريطانية والروايات الشفوية لمعاصرين ومشاركين في استرداد الملك عبدالعزيز الأحساء بتفصيلات دقيقة ومتشابهة، وتجمع على أن ذلك الدخول فاجأ الحامية التركية وسكان المنطقة ومَن حولها من القبائل.

وكما أشار فلبي في كتابه (اليوبيل العربي) إلى أن بريطانيا كانت عازمة على الاستيلاء على المنطقة بعد ذلك التاريخ الذي دخل فيه الملك عبدالعزيز الأحساء بثمانية عشر شهرًا.

وقد تحدث الملك عبدالعزيز عن دخول الأحساء باعتبارها من أملاك الدولة السعودية الأولى والثانية، ولم يشر الملك عبدالعزيز إلى دعم محلي أو خارجي لهذا الاسترداد، سوى ما رفعه سكان المنطقة من محاضر يطالبون فيها الملك عبدالعزيز بضم المنطقة وتخليصهم من الحامية التركية وتحقيق الأمن لهم، يقول الملك عبدالعزيز بعد دخوله الأحساء لمحرر جريدة الدستور العراقية في ذي القعدة

١٣٣١هـ/ أكتوبر ١٩١٣م: ".. إن الدولة العلية حفظها الله، غصبت آبائي هذا اللواء - الأحساء - بدون أمر مشروع بحجة دعوة عبدالله السعود شقيق والدي ومن بعد أن أخذته لم تحسن صنعًا.

وكان والدي يومئذ ولي العهد بعد أخيه على إمارة نجد التي يدخل فيها هذا اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله.

ولما اشتد الخصام بين سعود وعبدالله آل سعود على الإمارة أرسل الأخير مندوبًا إلى بغداد لمفاوضة واليها في مسألته مع أشقائه، وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته لإخماد نار الفتنة المتأججة، غير أن الدولة وجدت أن قد آن زمن الاحتلال فوضعت يدها من ذلك الوقت على الأحساء وأبعدت أمراءها عنها مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته.

ومنذ ذاك الوقت أخذ سكان هذا اللواء بالسقوط والتردي لتغلب قطاع الطرق عليه لكثرتهم هناك، وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم إلى مقام الولاية ويذكرون له عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن، فما كان يسمع صدى لأصواتهم المتكررة، فراجعوني مرارًا، فضربت عنهم صفحًا إذعانًا لدولتي، وإن كان يسوؤني نظري إياهم في تلك الحالة، لأن مجتمع الإنسان كالجسد إذا أصيب عضو منه بآفة انتقل الألم إلى الجسد كله.

ثم جاءتني محاضر (مضابط) فيها تواقيع كثيرة من العلماء والوجوه، قائلين: إن لم تسعفنا نضطر إلى ما لا

تحمد عقباه. وفي تلك المطاوي سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله، فاستندت حينئذ إلى ما لي من الحقوق الشرعية في هذا القطر بمنزلة أساس، فبادرت إلى تلبية طلب الأهالي ليكونوا في حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم، وإبعاد الأجانب عن ديارهم.

فهذه هي الأمور التي ساقتني إلى ما أتيت، فقدمت الأهم على المهم، وسرحت موظفي الإمارة محافظاً على حياتهم بدون أن ينالهم أذى.

وعليه، إذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل وفكروا في مآلها أحسن التفكير وأعطوا لكل ذي حق حقه ولاحظوا الأمن الضارب أطنابه في البلاد وتثبتوا ما انتشر من مرافق العمران بين العباد؛ حبذوا عملي هذا، ولا سيما إذا علموا أني قطعت دابر الأشقياء والمفسدين وحقنت دماء الأهلين وبسطت أروقة الراحة بين العالمين...".

وفي رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الشريف حسين بعد ضم الأحساء، ذكر الملك عبدالعزيز الأسباب التي دعته إلى استرداد الأحساء بقوله: ".. هالأيام أمرنا الله على ممالك آبائنا وأجدادنا (الأحساء) و(القطيف)، واستولينا عليها بأسهل ما يصير، والسبب لذلك توفيق الباري - جل شأنه - ثم الأهالي، حملتهم الضرورة إلى أن راجعونا واشتكوا إلينا، إما أن نمنعهم مما هم فيه من أخذ الأموال وقتل النفوس وعدم الأمن في كل حال من الأحوال، إما أن نساعدهم، مثل ما جرى، أو يفرون أو يلتجئون، بهذا السبب فعلنا السبب،

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٣١هـ، السنة السادسة والثلاثون
الدارة

وبحسب النية سهل الله الأمور، كما يفيدونكم خدامكم شفاهًا، فلما رأيت هذا الانقلاب ورأيت أن الدولة أمضت ما تحت أيديها - الخليج ومسقط والبحرين وقطر والعراق وجميع البنادر مع الشطوط الثلاثة الدجلة والفرات وشط العرب - وأعطت الامتياز من بغداد والبصرة إلى الكويت امتيازًا كليًا قطعيًا بين الإنكليز؛ حملتني الشفقة على جمع كلمة الإسلام والتعاضد على البر والتقوى.."[٢٥].

وبالرغم من أن طموحات الملك عبدالعزيز لاسترداد الأحساء بدأت واضحة في محاولته للاتصال بالحكومة البريطانية منذ عام ١٣٢٤هـ /١٩٠٦م، إلا أن الموقف البريطاني المعارض جعل الملك عبدالعزيز يصرف النظر حتى عام ١٣٣١هـ، حين تأكد من مناسبة الوقت لاسترداد الأحساء، كما ورد ذلك في عرض المملكة العربية السعودية: "... وفي عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م كان عبدالعزيز قد أصبح قويًا لدرجة تمكنه من الزحف على الأتراك في الحسا، دون الارتباط مع البريطانيين كما كان يظهر ذلك ضروريًا في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وقد تجلت صحة تقديراته في السهولة التي استسلم بها الأتراك..."[٢٦].

ولم تشر المصادر التاريخية إلى تفاصيل دخول الملك عبدالعزيز الأحساء عام ١٣٣١هـ، لكننا نجد في الروايات الشفاهية ومذكرات المعاصرين ما يوضح ذلك الجانب المهم،

---

(٢٥) عبدالعزيز التويجري، عند الصباح حمد القوم السرى، ص٣٥.

(٢٦) المجلد الأول، ص٢٩٩-٣٠١.

يقول الأمير سلمان بن محمد بن سعود في روايته المحفوظة لدى دارة الملك عبدالعزيز ".. أن الملك عبدالعزيز أرسل مناديب وأمرهم بالتداخل مع السكان في الأحساء، وجهزوا له سلالم ونزل في عين نجم، ومشوا على أقدامهم في الليل وعلقوا السلالم على سور الهفوف، وأول من طمر عمعوم بن نفيسة(٢٧)، وبعد ما طمر كن أهل العارض تراجعوا، واطمر يا عبدالعزيز، ويوم شافوا عبدالعزيز طمر تطامروا كلهم، تتابعوا في السلالم وحصروا الترك في الكوت حتى استسلموا، ثم رحلهم الملك عبدالعزيز إلى البحرين..".

وينقل الدكتور عبدالله السبيعي عن محمد بن سعيد الملا أن الملك عبدالعزيز بعد دخوله الأحساء قصد منزل جده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا، مفتي الأحساء من قبل العثمانيين، وأحد علماء الأحساء البارزين، والذي كان على اتصال مع الملك عبدالعزيز، وقد أيقظه أهله بعد طرق الملك عبدالعزيز الباب إذ كان حينها نائمًا في سطح منزله بعد العشاء ولم يكن على علم بدخول الملك عبدالعزيز الأحساء في تلك الليلة(٢٨).

(٢٧) يذكر فلبي في كتابه "قلب الجزيرة العربية" أن عبدالله بن نفيسة كان أول رجل صعد على سور الهفوف، وكذلك عبدالله بن خميس في كتابه "تاريخ اليمامة"، وأشار إلى ذلك محمد بن مفرج بن ضيدان أبوثنين في روايته لكتاب "كنت مع عبدالعزيز". وعمعوم لقب لعبدالله بن علي بن حسن النفيسة، أحد رجال الملك عبدالعزيز.

(٢٨) د. عبدالله بن ناصر السبيعي، التصدي السعودي للحكم العثماني للأحساء والقطيف، ص١٧٨.

وينقل الدكتور عبدالله السبيعي عن عبدالله بودي أن المبايعة للملك عبدالعزيز تمت في منزل عبداللطيف الملا من أهل الأحساء.

ويذكر ابن عبدالقادر في كتابه (تحفة المستفيد) بعض تفصيلات استرداد الأحساء بقوله: ".. في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية غادر عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بجيوشه بلد "الرياض" عاصمة ملكه، وتوجه إلى جهة "الأحساء"، ولما نزل على بعض المياه القريبة منها جاءت النذر إلى متصرف الأحساء فأخبرته أن عبدالعزيز قد وصل بجيوشه إلى قرب "الأحساء"، فأرسل المتصرف رسولاً يسأل عبدالعزيز عما يريد في هذه الناحية، فأجابه: إني أريد أن أغزو قومًا معادين لنا في جهة "الكويت" وأريد شراء الطعام من "الأحساء" لتموين الجيش.

وفعلاً أرسل قافلة، واشتروا كمية من التمر والأرز وما يحتاجون إليه، واستنفر من كان في جهة "الأحساء" من قبيلة العجمان، ووعدهم ماء بعيدًا في جهة الشمال، وقصد بذلك إبعادهم عن "الأحساء" لأنه لا يأمن شرهم.

ولما تم له ما أراد ارتحل يغذ السير، فوصل البلاد ليلة الخامسة من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين، وأحاطت جنوده بـ"الرقيقة" وسار هو مع ستمئة رجل من أهل الرياض والخرج، واتجهوا إلى "الكوت" من الناحية الغربية، وتسور السور، وتبعه الجند، وكان حرس السور نائمين، فاستيقظ

رجل من الحرس، وزجرهم، فأناموه، واتجهوا بعد نزولهم إلى "الكوت" إلى الباب الشرقي الذي يلي السوق، وقتلوا من حوله، وفتحوه والناس يغطون في نومهم، ثم أمر من كان معه أن يصعدوا إلى البروج التي في السور، وينزلوا من كان فيها من الحرس، ومن قاتلكم فاقتلوه، ففعلوا ما أمرهم، ولما ملك السور والبرج ولم يبق إلا الحصون أمر مناديًا ينادي بأعلى صوته: "إن الملك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل". فاستيقظ الناس على صوت البنادق المتبادلة بين الجند وبين الجنود العثمانية القابعة في الحصون، واتجه عبدالعزيز إلى بيت الشيخ عبداللطيف الملا.

ولما علم الناس بحقيقة الأمر سارعوا في آخر ليلهم إلى عبدالعزيز يهنئون بالفتح، ويبايعونه على السمع والطاعة، على كتاب الله وسنة رسوله، ولم تطلع الشمس حتى بايعه جميع سكان بلد "الهفوف" قاطبة، ثم أرسل إلى المتصرف فضيلة الشيخ أبي بكر الملا يقول له: "إما أن يسلِّم ويخرج هو ومن معه من عساكر الدولة سالمين محمولين إلى "العقير" وإلا هاجمناهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم". فاستشار المتصرف فضيلة الشيخ، فأشار عليه بالتسليم والخروج بالسلامة؛ لأن سكان البلاد لا يرغبون في بقائكم، فحينئذ سلموا وخرجوا من القصور إلى الخيام، حتى يتم تجهيزهم، ولم يمض ذلك اليوم حتى تمت البيعة من جميع سكان "الأحساء". واستولى عبدالعزيز على القصور، وحوى الذخائر والمعدات. وفي اليوم الثاني رحلت العساكر العثمانية من "الأحساء" إلى "العقير" ثم إلى البحرين إلى غير رجعة.

وكتب الشيخ العلامة عبدالله ابن الشيخ علي آل عبدالقادر - ساكن بلد "المبرز" - لعبدالعزيز كتابًا بالفتح وضمنه هذه الأبيات:

وفت السعود بوعدها المضمون وترادفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين وعاينوا تحقيق آمال لهم وظنون
تهنيك - يا هذا الإمام - سعادة بالنصر والإعزاز والتمكين
فقت الملوك بسالة وسياسة هيهات ما من مشبه وقرين
قرت بك "الأحساء" عينًا إنها ترجو صلاح أمورها والدين

ورجع الملك عبدالعزيز إلى "الأحساء" وأرسل عبدالرحمن بن عبدالله ابن سويلم إلى "القطيف" في سرية، ولم يكن فيها من عسكر الترك إلا فرقة قليلة، فسلموا، وركبوا السفن قاصدين "البصرة"، وتسلم عبدالرحمن بن سويلم الحصن بما فيه.

ومكث الملك عبدالعزيز في "الأحساء" أيامًا يرتب شؤونها، وجعل فيها عبدالله بن جلوي أميرًا، وأبقى عبدالرحمن بن سويلم أميرًا في "القطيف"، ورحل إلى "الرياض" بعد ما تم له ما أراد ومكنه الله في البلاد، وأصلح الله به العباد، ومحق به الفساد، فالحمد لله حمدًا دائمًا بلا نفاد..".

وهنأ الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين الملك عبدالعزيز بفتح الأحساء بقصيدة جاء فيها:

العز والمجد في الهندية القضب
لا في الرسائل والتنميق للخطبِ

تقضي المواضي فيمضي حكمها أممًا
إن خالج الشك رأي الحاذق الأربِ
وليس يبني العلا إلا ندى ووغى
هما المعارج للأسنى من الرتبِ
وَمُشْمَعِلٌّ أخو عزم يشيعه
قلب صروم إذ ما هَمَّ لم يهبِ
لله طَلاب أوتار أعد لها
سيرًا حثيثًا بعزم غير مؤتشبِ
ذاك الإمام الذي كادت عزائمه
تسمو به فوق هام النسر والقطبِ
عبدالعزيز الذي ذلت لسطوته
شوس الجبابر من عجم ومن عربِ
ليث الليوث أخو الهيجاء مُسْعِرُها
السيد المنجب ابن السادة النجبِ
قوم هم زينة الدنيا وبهجتها
وهم لها عمد ممدودة الطنبِ
لكن شمس ملوك الأرض قاطبة
عبدالعزيز بلا مين ولا كذبِ
قاد المقانب يكسو الجوَّ عِثْيَرُها
سماء مرتكم من نقع مرتكبِ

حتى إذا وردت ماء "الصراة" وقد
صارت لواحق أقراب من السغبِ
قال: النزال لنا في الحرب شنشنة
نمشي إليها ولو جثيًا على الركبِ
فسار من نفسه في جحفل حرد
وسار من جيشه في عسكر لجبِ
حتى تسور حيطانًا وأبنية
لولا القضاء لما أدركن بالسببِ
لكنها عزمة من فاتك بطل
حمى بها حوزة الإسلام والحسبِ
فبيَّت القوم صرعى خمر نومهم
وآخرين سكارى بابنة العنبِ
في ليلة شاب قبل الصبح مفرقها
لو كان تعقل لم تملك من الرُعُبِ(٢٩)

وقال خالد الفرج:

وما ذكر التاريخ مثلك فاتحًا
يغامر بالجند القليل فيغلبُ
وما ليلة الأحساء إلا شقيقة
لليلة عجلان بل الكوت أرهبُ

---

(٢٩) سعد بن رويشد، العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، ص٢٩-٣٧.

هنالك لا جند ولا عـــصـــبـــيـــة
لديك ونيـــران العـــدو تصـــوّبُ
فـــبـــدلتـــهـــا بالخـــوف أمنًا وبالفنا
حياة وأضـحـى ربعها وهو مـخصبُ
ضـربت ذوي الغـايات والظلمِ ضـربةً
فـــشـــتّـــتَّـــهـم بالســـيف لما تألبـــوا
فـقـد خنســوا للهــاربين ووســوســوا
ولاح لـهـم مـن بـارق الـطـيـش خُـلَّـبُ
فلول ســخـــاف في أوال تجـــمـــعت
يوســوس فـيـهـا الأعـجم المتـعـربُ
عـــدوٌّ بأثواب الصـــديق كـــأنما
تلونه في الفـــعل حـــرباء تنضبُ
فعـادوا لكيـمـا يستعـيدون مـجدهم
وهيـهـات أن تلقى القســاور أرنبُ
فأضحوا لعمر الله أضحوكة الورى
وصـــدرك رحب بل وحلمك أرحبُ
فـــحلمك لولا أنك اليـــوم قـــادر
لظنـوه عـلى كل الأنام وتصـــعبُ
فـرفرف في الأحسـاء عدلك شاملاً
وفي الخط بات الأمن وهو مطنبُ(٣٠)

(٣٠) خالد الزيد، ديوان خالد الفرج، ص٥٨-٥٩.

وعندما دخل الملك عبدالعزيز الأحساء أشاع التسامح والعدل وفرض الأمن، واستقبل الجميع مبايعين ومؤيدين، مما كان لذلك أثره في نفوس سكان المنطقة.

ويقول محمد سعيد المسلم في كتابه (القطيف): "... وحين دخلت هذه البلاد في الحكم السعودي الزاهر نعمت بالأمن والاستقرار بعد أن كانت تعاني من ضعف الحكم وعبث البداة واختلال الأمن في أغلب أدوار تاريخها فاستقبلت عهدًا جديدًا، اتسم بهيبة الحكم وقطع دابر المفسدين واستتباب الأمن، ومن جانب آخر تم فيه تحديث الدوائر الحكومية وتأسيس البلديات وافتتاح المستشفيات ونشر التعليم للذكور والإناث وقيام الجامعات وتشجيع الصناعة والزراعة، وقد خطت الدولة خطوات واسعة في الإصلاح وتحقيق برامج التنمية، شملت النواحي العمرانية والصناعية والزراعية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية..."[٣١].

وبعد أن تمكن الملك عبدالعزيز من السيطرة على الأحساء سارع بإرسال سرية من جنده إلى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن عبدالله بن سويلم، وقد سبقه إلى القطيف السيد سلمان المحسن رسول من مجتهدي الشيعة البارزين في الأحساء، والشيخ موسى أبو خمسين، يحملان رسائل منه ومن متصرف لواء الأحساء أحمد نديم باشا كان قد وقعها قبل مغادرته الهفوف إلى قائمقام القطيف وأهلها يخبرهم بتسليمه الأحساء لحكم عبدالعزيز آل سعود، ولم يجد

---

(٣١) محمد سعيد المسلم، القطيف، ص١٦٠.

عبدالرحمن بن سويلم مقاومة تمنع من استرداد القطيف، وكان قد نزل قبل دخولها بموضع يسمى المريقيب غرب سيهات، ومنها راسل أعيان القطيف ومنهم الشيخ علي بن حسن الخنيزي الذي تمكن من إقناع قائمقام القطيف بعدم قدرة سكان البلد على الاستجابة لطلبه بالدفاع عن القطيف، بسبب حالة البلاد الاقتصادية وقلة السلاح واختلاف الأهالي، وقد اقتنع القائمقام بعدم قدرته ومن معه على البقاء، ولا سيما بعد تسليم متصرف اللواء، فانسحب بمن معه إلى البحرين، وتم ضم القطيف في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م بدون قتال، وأقام عبدالعزيز في الأحساء من ١٣٣١/٥/٢٨هـ إلى ١٣٣١/٨/١٥هـ يرتب أمورها، ثم غادرها عائدًا إلى الرياض بعد أن عين في الأحساء الأمير عبدالله بن جلوي بن تركي بن عبدالله آل سعود، وفي القطيف عبدالرحمن بن سويلم[٣٢].

ويقول محمد المسلم في كتابه (ساحل الذهب الأسود) وهو من الأدباء والكتاب من أهل القطيف: "... حدثني الصديق السيد عبدالله أخوان بأن والده كان من أشد المتحمسين للحكم السعودي وذكر أن الأمير عبدالرحمن بن سويلم حينما قدم بسريته إلى القطيف ونزل المريقيب بعث والده علي أخوان ابن عمه حسن لاستقباله في سيهات كما استقبله أيضًا عمدة سيهات حسين بن نصر. وحدثني أيضًا أنه حينما جمع الوالي التركي زعماء القطيف ومن بينهم والده والحجة الشيخ علي الحاج حسن ملي الخنيزي لاستجلاء حقيقة

(٣٢) د. عبدالله بن ناصر السبيعي، المرجع السابق، ص١٨٣-١٨٤.

الأمر، وطلب منهم الدفاع، تكلم والده فقال: إن البلاد فقيرة من السلاح والعتاد ولا تستطيع المقاومة، فإذا أصر الوالي على رأيه فإنه يتحمل مسؤولية بلد بأكمله، فلما عرف البكباشي التركي جلية الأمر وأن لا جدوى في التشبث في البقاء طلب منهم تحرير كتاب يبرر موقفه وخروجه من البلاد، ثم أقلع هو والحامية التركية ودخلت القطيف في الحكم السعودي، بدون قتال، فكان والده (علي بن أخوان) من أقرب المقربين إلى الملك عبدالعزيز فتولى ضمان الجمارك. كما تولى يوسف بن سويلم وكالة بيت المال، ولما عزل هذا الأخير من منصبه ضمت إلى ابن أخوان وكالة بيت المال، وبعد وفاته أسندت مهام منصبه إلى مساعده علي بن فارس إلى أن توفي سنة ١٣٤١هـ. وعلى أثر وفاته قدم هاشم الرفاعي فنظم شؤون الجمارك والزكوات وبيت المال، وفي السنة التالية سن نظام الجوازات، وكان المواطنون ينتقلون قبلاً بحرية من بلد إلى بلد خارج بلادهم. وفي سنة ١٣٤٦هـ أدمجت مالية القطيف بمالية الأحساء إلى أن تم تشكيل وزارة عام ١٣٤٩هـ..".

ومما لاشك فيه أن ترحيب أهالي المنطقة بالملك عبدالعزيز جاء نتيجة لتبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، وإدراكهم للأوضاع الأمنية السيئة التي عاشتها المنطقة قبل دخول الملك عبدالعزيز الأحساء، يقول محمد بن علي الشرفاء في كتابه (المنطقة الشرقية): "... عاشت منطقة القطيف فترة من الزمن خاضت فيها بحارًا من الدم وشهدت عشرات من المجازر الوحشية والغارات التي لا تنقطع بين يوم

وآخر والأحوال الاجتماعية تزداد سوءًا والتوتر بين البداة والأهالي قائم على قدم وساق والاشتباك المسلح لا يهدأ طيلة أيام السنة..."(٣٣).

وقد كتب مقبل الذكير عن علاقة أهل القطيف بالملك عبدالعزيز: ".. توجه إلى القطيف ينظم شؤونه وينظر في قضايا كانت بين الأهالي وبين بني خالد من جهة أملاكهم الذي يزعمون أنهم اضطهدوهم بواسطة حكومة الترك، فعندما وصل القطيف نزل عند عبدالحسين بن جمعة الذي كان أكبر أثرياء وملاك القطيف وكان له أعداء يسعون فيه من أهل وطنه، فأراد أن يظهر لهم منزلة عبدالحسين بخاطره ليقصروا عنه السعاية فيه، ثم عرض له أهل القطيف حالهم من جهة زكاة النخيل وطلبوا منه أن يخفض من الرسم المقرر على النخيل فوافقهم وخفض من الرسم للأهالي خمس بارات عن كل نخلة، ولعبدالحسين عن أملاكه عشر بارات لكل نخلة، ورتب شؤون البلاد ونظر في الدعاوى المرفوعة له من بني خالد، وحسمها، ونصب عبدالرحمن بن عبدالله بن سويلم أميرًا فيها وألحق بإماراته ما يتبعها من القرى، وهو يرجع إلى إمارة الأحساء. وكان في دفاتر الحكومة متأخر من الزكاة على عبدالحسين بن جمعة (٢٢٤٠) ليرة، وكذلك رسومات أخرى (١٥٠٠) ريال، فطلبها منه، فتضرر وادعى أنه قد سدد الأكثر، فطلب منه الإثبات لما يدعيه ولم يكن لديه ما يثبت ذلك، فطلب من ابن سعود

(٣٣) محمد علي صالح الشرفاء، المنطقة الشرقية، ص٢٠٧-٢٠٨.

النظر في أمره، فسامحه بقسم كبير وطلب منه ألف وخمسمائة ليرة، فاستمر مُلِحًّا فأجابه، ثم رجع ابن سعود إلى الأحساء لينظر في شؤون البادية"[٣٤].

وقد أشار هاشم الرفاعي مدير بيت المال في القطيف إلى التنظيم الدقيق لبيت مال القطيف والعدل والمساواة والتسامح تجاه سكان المنطقة، وروى حادثة لأحد تجار القطيف ويدعى (علي بن فارس) الذي كان الضامن لجمارك القطيف، الذي قدم شكايته للملك عبدالعزيز من خسارة لحقته في أعماله، فأنصفه الملك عبدالعزيز بما حقق له معالجة مشاكله المالية[٣٥].

ويشير كتاب عن أعلام المنطقة أن الملك عبدالعزيز استخدم عبدالعزيز بن صالح المسلم من أهالي القطيف خياطًا له ولأبنائه، وحظي لدى الملك عبدالعزيز بالتقدير والاحترام، وكان يلقب بـ(خياط الشيوخ)[٣٦].

---

(٣٤) مقبل الذكير، النسخة المخطوطة، ص١٠١-١٠٢.

(٣٥) هاشم الرفاعي، ذكرياتي، ص١٢٢-١٢٣.

(٣٦) نقلاً عن كتاب "رجال عاصرتهم"، تأليف عدنان العوامي ومحمد النمر.